

الظلم والطغيان والاستكبار في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

م.م. حيدر خزعل فهد عكاب الحسنوي

p888p0@gmail.com

وزارة التربية/ مديرية تربية ذي قار

الملخص

يعد الظلم والطغيان والاستكبار من أبعث وأخطر الآفات التي تهدد المجتمعات الانسانية بالانهيار والدمار، وانتهاك الحقوق، وسلب الحريات، وانشار الفساد والمفسدين، ويزداد الحقد والحسد والتشاحن بين الناس وهو يخالف الفطرة الانسانية السليمة التي خلقنا الله تعالى عليها والتي تقوم على أساس العدل والاحسان والتراحم بين الناس، ولأن الظلم من أقبح الذنوب والمعاصي، ولأن ضرره يمتد إلى الآخرين، فقد نهى الله تعالى عنهم، وحذر من عاقبة الظالمين والمتكبرين، فقال في الحديث القدسي: : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...) والظلم ظلمات يوم القيامة، قال الإمام علي عليه السلام : ما أسرع صرعة الطاغية...) .

الكلمات المفتاحية: الظلم، الطغيان، الاستكبار، الظالمين، المتكبرين.

Research Title: Oppression, Rebellion, and Arrogance in the Holy Qur'an (Analytical Study)

M.M.Haider Khazal Fahd Akab al-Hasnawi

Ministry of Education/Dhi Qar Education Directorate

Abstract

I consider injustice, rebellion, and arrogance to be the worst and most dangerous plagues that threaten human societies with collapse and destruction, violation of rights, deprivation of freedoms, spread of corruption and corruption, and increase of hatred, envy, and strife among people. And because my injustice is the ugliest of sins and sins, and because its harm extends to others, God Almighty forbids them, and warns me of the end of the oppressors and the arrogant. He said in the hadith al-Qudsi: "O servants, this is the sanctity of injustice on my soul, and I made it taboo between you, so do not be unjust...) And

darkness is the darkness of the Day of Resurrection, Imam Ali, peace be upon him, said: "We will speed up the race of al-Taghi

Key words: unrighteousness, arrogance, arrogance.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله اجمعين.
أما بعد:

ان الظلم والطغيان والاستكبار مهلك للبيئة والعمران والإنسان والسلطان والحريث والنسل وحتى السنن الطبيعية والأقدار الناظمة لمسيرة الكون تختل بممارسة الظلم، فيحبس المطر، وتسود المجاعات، وتشتد الفتن، ويعم الاستبداد والاستعباد، وتكثر الحروب، ويتدافع الظلمة، ويعم الفساد يقول الرسول، عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) لذلك ارتأيت الى الكتابة في هذا الموضوع لما له من أهمية في التصدي للظلم والظالمين والطغاة، حتى نساهم في بناء مجتمع تسوده الألفة والمحبة والتماسك بين أفرادهِ.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أجعله في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

جاء المبحث الأول بعنوان التعريف بالظلم وأنواعه، والذي تضمن مطلبان، الأول: التعريف بالظلم وعاقبته، والثاني: تنزيه الله سبحانه عن الظلم: والمطلب الثالث: أنواع الظلم أما المبحث الثاني بعنوان مفهوم الطغيان ، وجاء في مطلبين، الأول: مفهوم الطغيان والثاني: التحذير من الطغيان ،اما المبحث الثالث فجاء بعنوان الاستكبار وفيه مطلبين الأول: مفهوم الاستكبار والثاني أسباب الاستكبار، وجاءت الخاتمة ملخصة لأهم النتائج.

المبحث الاول: المطلب الاول: مفهوم الظلم:

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الظلم مشتق من ظلم يظلم مظلمة بفتح اللام وكسرهما، وأصله وضع الشيء في غير موضعه» (١). وقيل: هو الجور ومجاوزة الحد والميل عن القصد، والظلمة: المانعون أهل الحقوق حقوقهم (٢). ومن المجاز (ظلم الأرض) إذا حفرها في غير موضع حفرها، و(ظلم البعير) إذا نحره من غير داء، و(ظلم الوادي ظلماً) إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن بلغه قبل، ولا ناله فيما خلا.

و(الظلمة) ذهاب النور، ومن المجاز أيضاً (شعرٌ مظلم) أي حالك شديد السواد، و(نبتٌ مظلم) يضرب إلى السواد من خضرته (٣). فالظلم: الميل عن القصد، ووضع الشيء في غير موضعه الذي يختص به، سواء بزيادة أو نقص، أو بعدول عن وقته وزمانه، حسياً كان أو معنوياً (٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

عبر المفسرون عن الظلم في القرآن بمعانٍ متعددة: منها جعل العبادة في غير موضعها اللائق بها، يعني جعلها لغير الله سبحانه، أو التوجه بالعبادة لغير الله سبحانه، ومنها معاملة العباد بغير ما أنزل الله سبحانه، وعدم إعطائهم حقوقهم أو غير ذلك، وإذا تبين لك هذا فيمكن الوقوف على تعريف عام يشمل ما سبق هو أن الظلم يعني: الميل عن الصواب ووضع الشيء في غير موضعه الذي يختص به سواء بزيادة أو نقص أو بدول عن وقته وزمانه حسياً كان أو معنوياً بقصد أو بدون قصد (٥)، فمن حاد عن طريق الحق لابد وأن يكون قلبه حالاً شديداً السواد، وقد ذهب نور الإيمان منه؛ لأنه خالف شرع الله سبحانه، وفعل غير ما أراد الله عز وجل. فالمعنى اللغوي والاصطلاحي متفقان تماماً.

المطلب الثاني: تنزيه الله سبحانه عن الظلم:

نزه الله سبحانه نفسه عن الظلم في العديد من الآيات القرآنية-المكي منها والمدني-، ونفى أن يظلم سبحانه أحداً، فكل ما نسب إلى الله سبحانه فهو خير، وإيجاد الله سبحانه للعقوبة على الذنب الذي يقترفه الإنسان لا يعد ظملاً له، بل ذلك عدلٌ منه سبحانه، وقد تبرا الله عن الظلم بأكثر من صيغة، ومن هذه الصيغ قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وردت في خمسة مواضع من القرآن الكريم، ثلاث منها مكية، واثنان مدنيان، ومن هذه المواضع قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْتُمْ فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [الأنفال: ٥١].

قال الإمام القاسمي عند تفسيره لها: «ذلك إشارة إلى ما ذكر من الضرب والعذاب بما قدمت أيدكم، أي: ما كسبتم من الكفر والمعاصي، وأن الله ليس بظلام للعبيد، أي: بأن يأخذهم بلا جرم، فإن قيل ما سر التعبير ب(ظلام) بالمبالغة مع أن نفي نفس الظلم أبلغ من نفي كثرته، ونفي الكثرة لا ينفي أصله، بل ربما يشعر بوجوده، وبرجوع النفي للقيد. وأجيب بأجوبة:

منها: أنه نفي لأصل الظلم وكثرته، باعتبار آحاد من ظلم، كأنه قيل: ظالم لفلان ولفلان وهلم جراً، فلما جمع هؤلاء عدل إلى (ظلام) لذلك، أي لكثرة الكمية فيه. ومنها: أنه إذا انتفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليل، لأن من يظلم، يظلم للانتفاع بالظلم، فإذا ترك كثيره مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضرر كان لقليله مع قلة نفعه أكثر ترگا.

ومنها: أن (ظلاماً) للنسب أي لا ينسب إليه الظلم أصلاً.

ومنها: أن كل صفة له تعالى في أكمل المراتب، فلو كان تعالى ظالماً، كان ظلاماً، فنفي اللازم لنفي الملزوم.

ومنها: أن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعدب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمة.

فالمراد تنزيهه تعالى، وهو جدير بالمبالغة.

وأيضاً لو عذب تعالى عبده بدون استحقاق وسبب لكان ظلاماً عظيماً لصدوره عن العدل الرحيم. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول: (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)» (٦) (٧).

يتبين مما سبق أن جميع الأجوبة السابقة تتناسب مع السر وراء التعبير بـ(ظلام) بالمبالغة. ومن الصيغ التي ورد فيها نفي الظلم عن الله سبحانه في القرآن الكريم: قوله تعالى: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) حيث إنها وردت في ثلاثة مواضع، ومن الأمثلة ما ورد عند قوله تعالى: (مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) [غافر: ٣١].

قال الطبري: «وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلاماً منه بغير جرم اجترموه بينهم وبينه؛ لأنه لا يريد ظلم عباده ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم وخلافهم أمره» (٨). كما ورد نفي الظلم عن الله سبحانه في القرآن الكريم بصيغة (وما ظلمهم الله) قال الزحيلي عند تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣].

«أي: إن ما وقع بهم من العذاب لم يكن بظلم من الله؛ لأنه تعالى أعذر إليهم وأقام حججه عليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، ولكن ظلموا أنفسهم بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به، فعوقبوا وجوزوا بسوء عملهم، وأحاط بهم العذاب الأليم بما كانوا به يستهزئون أي يسخرون من الرسل حيث توعدوهم بعقاب الله» (٩).

ورود نفي الظلم عن الله سبحانه في القرآن الكريم بصيغة (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وقال الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [التوبة: ٧٠].

«وقوله: (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) يقول جل ثناؤه: فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها، واستحقاقها من الله عظيم العقاب، لا ظلاماً من الله لهم، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبة من غير من هو لها أهل؛ لأن الله حكيم لا خلل في تدبيره، ولا خطأ في تقديره، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله، حتى أسخطوا عليهم ربهم فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا» (١٠).

يتضح من الأمثلة السابقة أن الله سبحانه قد نفي الظلم عن نفسه بأكثر من صيغة، وهذا يدل على أن الله سبحانه عدلٌ لا يظلم أحداً من مخلوقاته.

قال ابن القيم: «وقد اتفق أهل الأرض والسموات على أن الله عدلٌ لا يظلم أحداً حتى أعداءه المشركين الجاحدين لصفات كماله، فإنهم مقرون له بالعدل، ومنزهون له عن الظلم، حتى إنهم ليدخلون النار وهم معترفون بعدله كما قال تعالى: (فاعترفوا بذنبهم) [الملك: ١١].»

وقال تعالى: (يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) [الأنعام: ١٣٠].

فهو سبحانه قد حرّم الظلم على نفسه، وأخبر أنه لا يهلك القرى بظلم وأهلها غافلون»(١١).

المطلب الثالث : أنواع الظلم:

حذّر الشارع من الظلم ونهى عنه أشدّ النهي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (١٢) .

وقال عز وجل في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (١٣).

وللظلم أنواع كثيرة في واقع الناس، وحقيقتها تعود إلى نوعين:

الأول: ظلم النفس:

فالإنسان يظلم نفسه، ويضع الأمور في غير موضعها، وله صور كثيرة، منها:

١. ظلم الشرك.

فالشرك بالله أشدّ الظلم وأخطره؛ لأنه تجاوز للحد مع الله تعالى، إذ أمر الله الإنسان بتوحيده، لكن المشرك يتخذ معه شريكاً، وفي ذلك إرجاع الفضل لغير صاحبه، ولأنه يؤدي بصاحبه إلى الخلود في جهنم إن مات على الشرك، فيكون قد ظلم نفسه وأوردها المهالك؛ لذلك ابتداء لقمان الحكيم وصاياه لابنه بعدم الشرك بالله؛ لأنه رأس كل فتنة. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]. يقوم الشرك على مجرد التعقب للهوى، وتغليب المصلحة الفانية على الأخرى الباقية، ولا يقوم على أي دليل مقنع، وهو ظلم للنفس وللآخرين معاً، كما أنه انتقاص لحق الله سبحانه في التوحيد، وعدم تنزيهه عن مشابهة الخلق في حاجتهم إلى الشريك والمعين، لذلك توعدّ الله سبحانه هؤلاء بشديد العقاب في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) [آل عمران: ١٥١].

فالشرك أعظم أنواع الظلم، ولهذا كان جزاء صاحبه أن يخلد في النار يوم القيامة، كما قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢].

ومن الشرك: التقرب إلى الموتى وأصحاب القبور من الأولياء والصالحين وغيرهم، وذلك بدعائهم والاستغاثة بهم، والذبح والنذر لهم، والطواف بقبورهم، والحلف بهم تعظيمًا لهم، واعتقاد النفع والضرر فيهم، وأن لهم تصرفًا في هذا الكون، وقدرة على الدفع والرفع والضر والنفع والعتاء والمنع.

قال تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الرعد: ١٦] (١٤).

٢. ظلم الكفر.

الكفر ظلمٌ أكبر يخرج من الملة، ويوجب الخلود في النار، ويحبط جميع الأعمال، ولا يغفره الله سبحانه إلا بالتوبة. قال تعالى: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٥٤].

٣. ظلم النفاق.

النفاق الأكبر مخرج من الملة، وهو الذي يتعلق بالاعتقاد؛ كأن يبطن الكفر ويظهر الإيمان، أو أن يأتي الشخص بمكفرٍ من المكفرات كاستهزائه بالشريعة أو استهزائه بالرسول صلى الله عليه وسلم، أو استهزائه بالصحابة رضي الله عنهم، فهذا نفاق أكبر يخرج صاحبه من دين الإسلام وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم. ومما يؤكد هذا النوع قوله تعالى: (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) التوبة: ٦٥ وقال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقون: ١] (١٥).

٤. ظلم التعدي على حدود الله، واقتراف الكبائر.

قال تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: ٢٢٩]. ومن ذلك: الصد عن مساجد الله سبحانه أن يذكر فيها اسمه. قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [البقرة: ١١٤]. ومن ذلك أيضًا كتم الشهادة. قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ١٤٠]. وكذلك الكذب على الله تعالى. قال تعالى: (مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ١٤٤].

ومعناه: اختلاق القول على الله تعالى، ونقول الأقوال عنه بإيرادها ابتداءً، أو بالتبديل والتحريف فيها (١٦).

الثاني: ظلم الغير:

وله صور كثيرة ومتنوعة، وهي منتشرة بصورة كبيرة في مجتمعاتنا، وقد عرض القرآن الكريم لنماذج متعددة، وبيان ذلك فيما يأتي:

١. ظلم العباد بعضهم لبعض.

ويندرج تحته عدة أمور، منها: الغيبة والنميمة والسباب والشتم والاحتقار والتنازير بالألقاب والاستهزاء والقذف ونحو ذلك مما تناولته سورة الحجرات.

وشهادة الزور، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر.. ألا وقول الزور) (١٧).

وقتل النفس بغير حق، كما قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الإسراء: ٣٣].

أخذ أرض الغير أو شيء منها بغير وجه حق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أخذ شيئاً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين) (١٨).

وأكل أموال الناس بالباطل، كما قال تعالى: (يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩].

والتعامل بالربا، كما قال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء: ١٦٠-١٦١]. والغش في المعاملات، كما قال صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا) (١٩).

ومماثلة من له حق عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مطل الغنى ظلم) (٢٠) (٢١).

٢. الظلم الواقع بين الأرحام.

عقوق الوالدين: يعدّ عقوق الوالدين من صور الظلم الاجتماعي، وقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣].

لكن هناك من يخالف شرع الله ويعقّ والديه، وقد ظهر العقوق بأشكال متنوعة، منها: أن يسبّ الرجل والديه، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)، قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: (يسب أباً الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه) (٢٢).

ومن صورهِ: منع النفقة عن الآباء، رغم حاجة الآباء إلى النفقة مع قدرة الأبناء، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال، قال صلى الله عليه وسلم: (أنت ومالك لأبيك) (٢٣). ومنه: ميل الوالد لبعض أولاده، ويكون ذلك بعدم العدل بينهم في الهدية والعطية؛ وبالتالي فإن هذا يؤدي إلى العقوق، وكرهية بعضهم لبعض، ودافع للعداوة بين الإخوة. وقد روي عن النعمان بن بشير

رضي الله عنهما أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها، فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي وأنا غلام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذًا فإني لا أشهد على جور) (٢٤). وأكل حقوق النساء في الميراث، فقد جاء الإسلام ليبطل ما فيه ظلم وجور من توريث الأبناء دون البنات في الجاهلية، وحدد لكل مستحق من التركة حقه.

قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ) [النساء: ١١]. والمتأمل في الواقع يجد أن أكثر ذلك الظلم يقع على الأخوات من أقرب الناس إليهن، وهم إخوتهن، وكثيراً ما نسمع ونرى من المشاكل التي أدت إلى قطع الأرحام والعداوات بين الأقارب، والتي كان سببها تعطيل قسمة الفرائض والجور فيها، وقسمتها على غير ما أمر الله سبحانه. ومنه أيضاً قطيعة الرحم، وقد فشى في مجتمعات المسلمين، ومن أخطرها من لا يعرف الناس قرابته بصلة، ولا بمال ولا بأي شيء، تمضي الشهور وربما الأعوام وما قام بزيارتهم، ولا تودد إليهم بصلة أو هدية، ولا دفع عنهم حاجة أو أذية، بل ربما أساء إليهم بالقول أو الفعل أو بهما معاً، وقد قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [محمد: ٢٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قاطع) (٢٥) (٢٦). والحاصل أن الظلم الاجتماعي له صورٌ متعددة ذكرنا بعضاً منها، والواجب على المسلم أن يحاسب نفسه، ويتأمل تعاملاته مع أقربائه وجيرانه وزملائه، ويجب أن يعلم أن حبه لأحد لا يقتضي الغلو والمبالغة فيه وعدم نصحه، كما أن بغضه أو عدم ارتياحه لأحد لا يسوّغ له ظلمه، أو التعدي عليه، أو ترك ما يجب له من التكريم والصلة، وهذا هو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، وأمر به الشرع، قال تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: ٨].

المبحث الثاني: المطلب الأول: مفهوم الطغيان

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الطَّاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ منقاسٌ، وهو مجاوزة الحدِّ في العصيان. يقال: هو طاغٍ. وطغى السَّيل، إذا جاء بماءٍ كثيرٍ» (٢٧). والطاغوت الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال، يكون واحداً والجمع الطواغيت (٢٨). «والطاغية: الجبار العنيد» (٢٩). وقيل: الذي لا يبالي بما أتى، يأكل الناس ويقهرهم، لا يثنيه تحرج ولا فرق (٣٠). وقيل: «الأحمق المستكبر الظالم» (٣١).

والخلاصة: أن كل شيء جاوز الحد فقد طغى، ذكر ذلك أبو منصور الثعالبي، ونسب ذلك إلى أئمة اللغة.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: «الطغيان: مجاوزة الحد في العصيان» (٣٢).
وقال القرطبي: «الطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه؛ وذلك أن الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى» (٣٣).
وقال ابن القيم رحمه الله: «والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله» (٣٤).
والواقع أن الطغيان في الشرع يقوم على أساس معناه في اللغة، فيراد به تجاوز الإنسان حده وقدره، وحد الإنسان هو ما حد الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها.

المطلب الثاني: التحذير من الطغيان

تنوعت أساليب القرآن في التحذير من الطغيان، وسنتناولها فيما يأتي:
أولاً: النهي الصريح:

ورد النهي الصريح في كتاب الله محدثاً من ارتكاب الطغيان، فقال تعالى أمرًا نبيّه وأهل الإيمان بالاستقامة على الدين، ونهاهم عن الظلم والطغيان، فقال سبحانه: (فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ [هود: ١١٢-١١٣]).

«فأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة؛ وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء، ومخالفة الأضداد، ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك، وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء» (٣٥).

قال سيد رحمه الله: «وإنه لما يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة؛ وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج، قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحوّل هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالالتقريط والتقصير، وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو، أو الإهمال على السواء» (٣٦).

وأمر الله سبحانه عباده بأكل الحلال الطيب، ونهاهم عن الطغيان بالسرف والبطر، فقال سبحانه: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) [طه: ٨١].

أي: ولا تطغوا في رزقي بالإخلال بشكره وتعددي حدودي فيه بالسرف والبطر، والاستعانة به على المعاصي، ومنع الحقوق الواجبة فيه، فينزل عليكم غضبي، وتجب عليكم عقوبتي(٣٧). وقال ابن كثير: «أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، ولا تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالفوا ما أمركم به»(٣٨).

ونهى عن الطغيان في الميزان، فقال: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) [الرحمن: ٧-٩].

وقد اختلف علماء التفسير في معنى الميزان، فقيل: هو العدل، وقيل: المراد آلة الوزن التي يتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف، وقيل: الميزان هو القرآن؛ لأن فيه بيان ما يحتاج إليه، وقيل: إن الميزان هو الحكم(٣٩). وليس هناك تعارض بين هذه الأقوال، ولا مانع أنه يعم الجميع، فالمطلوب من الإنسان ألا يطغى سواء في آلة الوزن، أو في تجاوز حدود الله، أو في ظلم الناس.

ثانيًا: التعليل بسوء المصير:

من أساليب القرآن الكريم في التحذير من الطغيان: ذكر الوعيد الشديد بسوء مصير الطغاة في الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى مبيِّنًا مصير الطغاة: (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِيانِ لَشَرًّا مَّأبًا) [ص: ٥٥].

«وهم الذين تمرّدوا على ربهم، فعصوا أمره مع إحسانه إليهم، لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا؛ لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم، فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم»(٤٠).

والمراد بالطاغين هنا: «عظماء أهل الشرك؛ لأنهم تكبروا بعظمتهم على قبول الإسلام، وأعرضوا عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بكبر واستهزاء، وحكموا على عامة قومهم بالابتعاد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين وعن سماع القرآن، وهم: أبو جهل وأمّية ابن خلف، وعتبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، والعاصي بن وائل وأضرابهم»(٤١).

وقال تعالى: (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّغِيانِ مَأْبًا) [النبا: ٢١-٢٢].

أي: أنها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها(٤٢). والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر، أو في دنياه بالظلم(٤٣).

ولما كان من صور الطغيان الظلم بين الله ومصيرهم في الدنيا والآخرة، فقال: (وَكذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: ١٠٢].

وأخبر سبحانه أنه لا يغفل عما يفعله الطغاة الظلمة من الظلم والطغيان، فقال سبحانه: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم: ٤٢].

أي: «لا تحسبته إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم، مهمل لهم، لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك ويعده عليهم عدًّا» (٤٤).

قال سيد رحمه الله: «ظاهر الأمر يبدو هكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون، ويسمع بوعيد الله، ثم لا يراه واقعًا بهم في هذه الحياة الدنيا، فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذ الأخيرة التي لا إمهال بعدها، ولا فكاك منها، أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك، ثم يرسم مشهدًا للقوم في زحمة الهول، مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء، ولا يلتفتون إلى شيء، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة، ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكًا، يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب، فلا يطرف ولا يرتد إليهم، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية، لا تضم شيئًا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه، فهي هواء خواء» (٤٥). وقال عز وجل: (فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) [مريم: ٨٤].

أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله (٤٦).

«فيا ويل من يعدّ الله عليه ذنوبه وأعماله وأنفاسه، ويتتبعها ليحاسبه الحساب العسير، إن الذي يحسّ أن رئيسه في الأرض يتتبع أعماله وأخطائه يفرع ويخاف ويعيش في قلق وحسبان، فكيف بالله المنتقم الجبار؟!» (٤٧).

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)، قال: ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: ١٠٢] (٤٨).

وحينما يتسلل الإحباط واليأس في نفس المؤمن وهو يرى ما عليه الطغاة وأهل الكفر من التمكين في الأرض، وما يملكونه من القوة والهيمنة، فلينذكر قول الله سبحانه: (مَتَّعْ قَلِيلًا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [آل عمران: ١٩٧].

«وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتتعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تقول إليه» (٤٩).

ويسلي الله نبيه صلى الله عليه وسلم، ويبين له مصير الطغاة المجرمين، فيقول سبحانه: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ) [الأنعام: ١٤٧].

فهذا الوعيد الشديد بذكر مصير أهل الفسق والطغيان يجعل من الإنسان المسلم شخصية خائفة من ربها تبارك وتعالى، مجتنبًا كل الأسباب الموصلة إلى الطغيان؛ لأن الله قد حذر منه، وذكر مصير أهله.

ثالثًا: الحث على الاعتبار بالسابقين:

يقصّ الله تبارك وتعالى علينا قصص الطغاة، وما حلّ بهم النكال والعذاب لا لأجل التسليّة، وإنما لأجل أخذ العبرة من هذه القصص، وحتى لا نقع في طغيانهم وضلالهم، وسأتناول شيئًا من قصص الأمم السابقة التي طغت وتكبرت على الخالق والخلق:

فالطغاة قد تخدعهم قوتهم وسطوتهم المادية، فينسون قوة الله وجبروته، ولكن الله لهم بالمرصاد. قال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) [الفجر: ٦].

«فربك راصد لهم، ومسجّل لأعمالهم، فلما أن كثر الفساد، وزاد صبّ عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصبّ، حيث يجتمع الألم اللاذع، والغمرة الطاغية، على الطغاة الذين طغوا في البلاد، فأكثرُوا فيها الفساد» (٥٠).

وذكر الله سبحانه إهلاك الأمم السابقة بسبب طغيانهم وعتوهم، فقال: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى) [النجم: ٥٠]. فأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، وكانوا هم أشد ظلمًا لأنفسهم، وأعظم كفرًا بربهم، وأشد طغيانًا وتمردًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم أكثر طغيانًا من غيرهم من الأمم (٣٥). وكان عاقبتهم: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قُدِرَ) [القمر: ١١-١٢]. وأخبر تبارك وتعالى عن مصير الطغاة المكذّبين بأنبيائهم، فقال سبحانه: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: ٣٨-٤٠].

«هؤلاء الذين ملكوا القوة والمال وأسباب البقاء والغلبة، قد أخذهم الله جميعًا بعد ما فتتوا الناس وآذوهم طويلًا. فعاد أخذهم حاصب، وهو الريح الصرصر التي تتطاير معها حصباء الأرض، فتضربهم وتقتلهم، وثمود أخذتهم الصيحة، وقارون خسف به وباراه الأرض، وفرعون وهامان غرقًا في اليم، ذهبوا جميعًا مأخوذِينَ بظلمهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)» (٥١).

وذكر لنا تبارك وتعالى طغيان قوم صالح عليه السلام. قال سبحانه وتعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا. فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَذَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا) [الشمس: ١١-١٥]. قال الطبري: «الطاغية طغيانهم الذي طغوا في معاصي الله، وخلاف كتاب الله» (٥٢).

وقصّ الله علينا قصة أصحاب الجنة لما طغوا وتغطرسوا على عباد الله الضعفاء، ومنعواهم حقهم من الصدقات، ولم يشكروا الله تعالى على نعمه عليهم، جاء العذاب، ونزعت النعمة.

قال سبحانه: (إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.) [القلم: ١٧-٣٣].

فالله تبارك وتعالى يسوق إلى قريش هذه التجربة من واقع البيئته، ومما هو متداول بينهم من القصص، فيربط بين سنته في الغابرين، وسنته في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم(٣٨).

ولما طغى قوم عاد وتكبروا، وقالوا لنبيهم استهزاء واستهتاراً فردّ الله عليهم بقوله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) [فصلت: ١٥]. وقال تبارك وتعالى مخبراً عن فرعون: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) [القصص ٣٨]. ويصف لنا ربنا -ﷻ- هذا الطاغية المتجبر، وإذلاله لموسى عليه السلام ولقومه، وعدم مبالاته بهم، فقال تعالى: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) [الشعراء: ٥٣].

فكانت النتيجة: (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) [الشعراء: ٥٧]. فهذه القصص وغيرها في كتاب الله تبارك وتعالى لم يقصها الله علينا إلا لأخذ العظة والعبرة منها، فنبتعد عن الطغيان وصفات الطغاة.

المبحث الثالث: الاستكبار: المطلب الاول: أولاً: المعنى اللغوي:

مادة (كبر) تأتي على معانٍ متعددة، أهمها: أنها تدل على خلاف الصغر، والكبر: معظم الأمر، والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء(٥٣)، والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، وأصل ذلك أن يستعمل في الأعيان ثم استعير للمعاني، ومنه ما اعتبر فيه المنزلة والرفعة، نحو: (عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد: ٩].

وأكابر القوم رؤسائهم، والكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته، والجمع كبائر، وأكبرت الشيء: رأيتك كبيراً، والتكبير يقال لذلك، ولتعظيم الله تعالى بقولهم: الله أكبر، ولعبادته واستشعار

تعظيمه (٥٤)، والكبرياء: الملك، كما في قوله تعالى: (لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) [يونس: ٧٨] (٥٥).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي. وقال الراغب الأصفهاني: «الكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره» (٥٦). وقيل أيضاً: الحالة التي يكون عليها الإنسان من الترفع والتعالي على الآخرين واحتقارهم، والتمنع عن قبول الحق معاندة وجحوداً وإنكاراً. وهذا التعريف يشمل الاستكبار الناتج عن تعالي النفس واستصغارها للغير، سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً، وكذلك الحديث عن عدم قبول الحق والخضوع له، وهذا هو مفهوم حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (الكبر بَطْرُ الحقِ وَعَمَطُ الناسِ) (٥٧).

المطلب الثاني: اسباب الاستكبار:

عند النظر في كتاب الله تعالى نجد أن استكبار العبد يرجع إلى أسباب متعددة، نقف عليها من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الكفر:

«الكفر: تغطية ما حقه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها. وأعظم الكفر: جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة. والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر» (٥٨).

فالكافر: هو من جاءه الحق من الله تعالى على لسان الرسل أو من ينوب منابهم في مهمة الدعوة إلى الله، فاستكبر عن الخضوع والإذعان له، وتمرد وتعالى عليه، وجحد نعمة الدين، وأبى أن يكون من الموحدين التابعين له. إن الله تعالى قد وصف قومًا من أهل النار بأنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها، وأنهم كانوا من الكافرين. قال تعالى: (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكْءِ آيَاتِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ) [الزمر: ٥٩].

وذكر تعالى أن عادًا جحدوا آيات الله، وتمادوا في عتوهم وعنادهم، فكان كفرهم وجحودهم سببًا في استكبارهم بغير الحق، وكان استكبارهم سببًا في عذابهم وهلاكهم. قال تعالى: (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت: ١٥-١٦]. وأخبر تعالى عن قوم نوح عليه السلام، وقد وصل بهم العناد والجحود والكفر إلى درجة بالغة، فكان ذلك الإصرار على الكفر سببًا لبلوغ الكبر عندهم إلى أعلى الدرجات، حتى صور الله حالهم بصورة تبين ذلك بأبلغ تصوير، فقال تعالى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا

وَأَسْتَكْبِرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح:٧]. فالكفر هو أحد الأسباب القوية لحصول الكبر، ومانع من الهداية إلى الإيمان.

ثانيًا: اتباع الهوى:

«الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية» (٥٩). ويطلق الهوى ويراد به المحبة، كما يطلق على الشيء المحبوب مبالغة، كما يكنى به عن الباطل والجور والظلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفس، فإن العدل والإنصاف ثقيل على النفوس فلا تهواه غالبًا، وهوى النفس يكون في الأمور السهلة عليها، الرائقة عندها، ومعظم الكمالات صعبة على النفس؛ لأنها ترجع إلى تهذيب النفس والارتقاء بها عن حضيض الحيوانية إلى أوجه الملكية» (٦٠). ولما كان الاستكبار مما تهواه النفس وتميل إليه؛ كان الهوى سببًا له، وسببًا إليه، وقد أخبر تعالى أن بني إسرائيل تمردوا على الحق لما جاءهم، وكذبوا رسلهم وقتلوه، وسبب ذلك هوى النفس الذي ساقهم إلى الاستكبار والتمرد. قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقُوا تَقْتُلُونَ) [البقرة:٨٧]. فهذه الآية الكريمة تكشف عن النفسية اليهودية المتمردة المتكبرة على رسل الله ودعاة الحق، فقد أخبر تعالى أنه أرسل إليهم رسله تترًا، مؤيدين بالآيات الباهرات، والمعجزات البينات، وأيدهم بروح القدس جبريل عليه السلام، كل ذلك من أجل هدايتهم إلى دين الله القويم وصراطه المستقيم، والأخذ بأيديهم من موارد الردى والحرمان إلى نور الهداية والإيمان؛ رحمة بهم، وإشفاقًا عليهم، فبدلًا من أن ينصاعوا لأمر الله، ويستجيبوا لداعي الله، حملتهم الأنفة والكبرياء إلى معاندة كل ما لا يوافق هوى نفوسهم، وقتل كل داعٍ إلى الفضيلة وترك الرذيلة، وهذه النفسية لا تقف عند حدٍ زمني، أو تنقطع عند حدٍ مكاني، وإنما لها صورة مستسخة عبر العصور وتعاقب الأجيال، لا يكسر كبرياءهم إلا قوة الحق، وقد كسر ومرغت أنوفهم في التراب حتى سمع لأعتاهم قوة عويل.

ثالثًا: إنكار البعث:

بعث الأجساد بعد فنائها عقيدة لا يماري فيها إلا معاند مكابر جهول، فقد ثبت يقينًا بالأدلة النقلية والعقلية وفي الواقع ما يؤكد البعث والنشور، ويبرهن عليه بأبلغ برهان، وفي القرآن-خاصة المكي منه- بيان شافٍ لهذه الحقيقة، ومجادلة قوية لمنكريها، فهي إحدى كبريات العقيدة الثلاث التي كان ينكرها المشركون-التوحيد والرسالات والبعث-. وقد كشف القرآن الكريم عن أن إنكار البعث سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الاستكبار والتعاضم والتمرد على الحق، فقال ﷺ: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا) [الفرقان:٢١].

والمراد بقوله «يريد: لا يخافون البعث ولقاء الله، أي لا يؤمنون بذلك.» (٦١) فكان إنكارهم للبعث سبباً في إضفاء صفة الاستكبار عليهم، وإلصاق هذه التهمة بهم، وتميزهم بها عن غيرهم.
رابعاً: الحسد:

الحسد مرض من أمراض القلوب المؤدية إلى المهالك؛ ومنه ما هو محمود، وهو ما يسمى (غبطة)، وهو أن يكون لأخيك نعمة لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها، وهذا مباح لا إثم فيه. والآخر مذموم: وهو أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً. فالحسد حده: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه، وهو محرم (٦٢). والمقصود في هذا المبحث من هذين المعنيين هو الثاني؛ لأنه الذي يؤدي إلى الكبر؛ كما حدث مع إبليس اللعين حين أمر بالسجود لآدم عليه السلام فأبى واستكبر؛ وعلل امتناعه عن السجود بأنه خير من آدم، واستدل على ذلك بأصل الخلق، ففاس أصل خلقته بأصل خلقه آدم عليه السلام، فقال: أنا خير منه، وما منعه إلا الكبر، وما كان سببه في الحقيقة إلا الحسد. ويصور القرآن ذلك المشهد فيقول الله تعالى: (قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) [الأعراف: ١١-١٣]. قال قتادة: «حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال: أنا ناري وهذا طيني، فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم» (٦٣). وعن جنادة بن أبي أمية قال: أول خطيئة كانت الحسد، حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أمر، فحمله الحسد على المعصية (٦٤). فالحسد قد تسبب عنه الكبر الذي جعل إبليس يأبى السجود لآدم عليه السلام طاعة لأمر الله، وقبولاً للحق، لذا قال حجة الإسلام الغزالي: «ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق، يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل؛ لاستكفاه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسداً وبعياً عليه، فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكنه الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه» (٦٥)، فالحذر الحذر منه.

خامساً: القوة المادية:

القوة المادية من أهم الأسباب التي تدعو إلى التكبر والتمرد على الحق، والتعالي على العباد، واستحقارهم والاستخفاف بهم. ولعل الناظر في كتاب الله تعالى يجد نماذج متعددة حول هذه القضية، فقد ذكر لنا القرآن من شأن موسى وفرعون ما يؤكد أن القوة المجردة عن إيمان صاحبها تسوقه إلى الكبرياء والتعاضم على الآخرين، واحتقارهم واستصغارهم، والنظر إليهم نظر شزر. قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا غَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ) [المؤمنون: ٤٥-٤٨].

فهذه النظرة الفرعونية إلى موسى وقومه على أنهم عبيد له ولملئه تتم عن كبر في نفوسهم، وتعاضم وتعالي، وسبب هذه النظرة هو ما هم عليه من القوة المفرطة، والسلطان والفاجر. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الكبر لدى فرعون في موضع آخر؛ حيث قال: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: ٥١-٥٣]. فهذه النظرة الدونية من فرعون لموسى عليه السلام سببها ما كان عليه فرعون من القوة والسلطان. وقد سبق فرعون قوم هود عليه السلام فيما ذكر القرآن الكريم من أخبارهم، وقص علينا من أنبائهم، إذ إنهم استكبروا وجدوا آيات الله، وكان سبب هذا التمرد والتكبر والطغيان هو ما كانوا عليه من القوة الشديدة، فاعتروا بهذه القوة وتكبروا على الحق، فأهلكهم الله. قال الله تعالى: (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ه فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّجَسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) [فصلت: ١٥-١٦]. ولا عجب أنك ترى في هذا الزمان من أوتي من القوة والعتاد على المستوى العسكري والتكنولوجي ما أبهر المنهزمين نفسيًا وأخلاقيًا وعسكريًا وتكنولوجياً، حتى اعتقد أكثرهم أن تلك الدولة صاحبة تلك القوة لن تهزم، وأن أحدًا لن يستطيع أن يصمد أمامها، وقاس هؤلاء المنهزمون قوة العدو بقوة المجاهدين، وقضوا بأن لا تكافؤ بين القوتين، وأن الهزيمة محققة للمجاهدين. ونسي هؤلاء المنهزمون، ونسي كذلك هؤلاء المغترون بقوتهم وعتادهم أن الله هو أشد منهم قوة، وأنه سبحانه مهلك الطغاة المتمردين، والعتاة المتكبرين. إنها سنة الله في الأولين والآخرين، فكما أهلك عادًا الأولى، وفرعون الذي طغى، فإنه مهلك كل متمرد على الحق، متكبر على عباد الله، وحينئذٍ لن تكون له فئة ينصرونه من دون الله، ولن يكون منتصرًا.

الخاتمة:

الحمد لله حمدًا يوافي النعم، ويكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على محمد ﷺ، وعلى آله وسلام.

أما بعد:

١ - إن المعنى الاصطلاحي للفظه (الظلم) مأخوذ من المعنى اللغوي، هو وضع الشيء في غير موضعه، ويراد به الجور ومجاوزة الحد. بعد الظلم كبيرة من الكبائر، فقد نهى الله تعالى عنه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم فقال: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، كما حذر منه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة (...).

٢- أنواع الظلم ثلاثة بينها الحديث الشريف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الظلم ثلاثة: ظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله،

وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الذي لا يترك فقص الله بعضهم من بعض). .

٣- أسباب الظلم كثيرة ومتعددة، منها: البعد عن الله تعالى، والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه والجهل بالدين مما يدفع الانسان الى ارتكاب الظلم في حق نفسه وحق غيره، كذلك الجهل بعاقبة الظلم والظالمين، واتباع الشيطان، والنفس الامارة بالسوء، والهوى، والحقد والحسد والطمع والترف والحرص على المصالح والامتيازات والصراع على المال والثروات، والانتقام، وغيرها.

٤ - من آثار الظلم انهيار المجتمعات، وانعدام الاستقرار الاجتماعي، وغياب العدل، وانتشار الفساد والمفسدين، فالظلم ينشر الفوضى في المجتمع، ويزرع الحقد والبغضاء، والمشاحنات بين الناس.

٥- الطغيان من أعظم أسباب هلاك الإنسان وهوانه على الله عز وجل، وما كفر من كفر ولا عصى من عصى إلا طغى إذ تجاوز حده، وحد الإنسان إنما هو الوقوف عند عتبة العبودية لله عز وجل بتوحيده وفعل المأمور وترك المحذور

٦- أسباب التكبر سبعة: تكبر بالنسب، وتكبر بالجمال، وتكبر بالمال، وتكبر بالسلطان، وتكبر بالقوة والشباب، وتكبر بالعلم، وتكبر بالعبادة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله محمد سيد الأولين والآخرين.

مصادر البحث :

القران الكريم

- ١- مقاييس اللغة ٤٦٩/٣.
- ٢- انظر: الصحاح، الجوهري ١٩٧٧/٥، لسان العرب، ابن منظور ٣٧٣/١٢.
- ٣- انظر: تاج العروس، الزبيدي ٣٢/٣٣.
- ٤- انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ٣٢٥.
- ٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٧، ١٩٩٤/٤.
- ٦- انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٣٠٩/٥.
- ٧- جامع البيان ٣٧٩/٢١.
- ٨- التفسير المنير، الزحيلي ١٣٦/١٤.
- ٩- جامع البيان، الطبري ٣٤٦/١٤.
- ١٠- مختصر الصواعق المرسله ص ٢٣١.
- ١١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٨، ١٩٩٦/٤.
- ١٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٧، ١٩٩٤/٤.
- ١٣- انظر: بيان حقيقة التوحيد، صالح الفوزان ص ٤٥.

- ١٤- انظر: المصدر السابق ص ٢٥.
- ١٥- انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٩٧٤/٦.
- ١٦- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الكبائر، رقم ٨٧، ٩١/١.
- ١٧- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا، رقم ١٦١٠، ١٢٣٠/٣.
- ١٨- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا، رقم ١٠١، ٩٩/١.
- ١٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحوالات، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة، رقم ٢٢٨٧، ٩٤/٣.
- ٢٠- انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٦/١.
- ٢١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم ٥٩٧٣، ٣/٨.
- ٢٢- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب مال الرجل من مال والده، رقم ٢٢٩٢، ٧٦٩/٢.
- وصححه الألباني صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ٢٩١/٥، رقم ٢٢٩١.
- ٢٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب العدل بين الأولاد في العطاء، رقم ١٢٤٣/١٦٢٣، ٣.
- ٢٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم ٥٩٨٤، ٥/٨.
- ٢٥- انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود الرحيلي ٧٣٢/٢.
- ٢٦- مقاييس اللغة ٤١٢/٣.
- ٢٧- مختار الصحاح، الرازي ص ١٩١.
- ٢٨- العين، الفراهيدي ٤٣٥/٤.
- ٢٩- تهذيب اللغة، الأزهري ١٥٤/٨.
- ٣٠- تهذيب اللغة ١٥٤/٨.
- ٣١- التعريفات ص ١٤١.
- ٣٢- الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٥/٦.
- ٣٣- إعلام الموقعين ٤٠/١.
- ٣٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٥٤/٤.
- ٣٥- في ظلال القرآن ١٩٣١/٤.
- ٣٦- تفسير المراغي ١٣٦/١٦.
- ٣٧- تفسير القرآن العظيم، ٣٠٨/٥.

- ٣٨- انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/١٥٤.
- ٣٩- جامع البيان، الطبري ٢٠/١٢٦.
- ٤٠- التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/١٧٧.
- ٤١- إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٩/٩٠.
- ٤٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/١٧٧.
- ٤٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥١٥.
- ٤٤- في ظلال القرآن ٤/٢١١١.
- ٤٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٢٦٢.
- ٤٦- في ظلال القرآن ٤/٢٣٢٠.
- ٤٧- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (وكذلك أخذ ربك)، ٦/٧٤، رقم ٤٦٨٦.
- ٤٨- تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٦٢.
- ٤٩- في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٩٠٤.
- ٥٠- انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/٥٥٣.
- ٥١- في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٧٣٥-٢٧٣٦.
- ٥٢- جامع البيان ٢٣/٢٠٨.
- ٥٣- انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/١٥٤، ١٥٣.
- ٥٤- انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥٤٣-٥٤٦.
- ٥٥- انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/١٢٥.
- ٥٦- المفردات، ص ٥٤٥.
- ٥٧- أخرجه مسلم في صح
- ٥٨- التوقيف، للمناوي، ص ٦٠٦.
- ٥٩- المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٧١٢.
- ٦٠- انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣/٢٤٤.
- ٦١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/١٩.
- ٦٢- انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/٢٣٨.
- ٦٣- انظر: الدر المنثور، السيوطي، ١/٢٧٠.
- ٦٤- انظر: المصدر السابق ١/٢٧٤.
- ٦٥- إحياء علوم الدين، الغزالي ٢/٤٣٦.